تصدير

قصيدة « الناظرين »

بقلم الدكتور محمد مهدى علام
المشرف على المجلة

كان ذلك منذ ستين سنة ، إلَّا قليلًا . كنت يومئذ أُستاذًا بدار العلوم ، وأُستاذًا منتدبًا بقسم التخصص بالأزهر . وكنت ألقى محاضرتين (٨ ـ ١٠ صباحًا) ، بدار العلوم ، وأمشى إلى الحلمية ، حيث كان قسم التخصص فى شارع البرمونى (به الآن معهد أزهرى) . وكان بمدرسة « التجهيزية لدار العلوم » ، الملحقة بمقر القسم العالى ، فى المنيرة ، مدرس يغادر المبنى فى الوقت الذى أُغادره فيه . وكان طريقنا واحدًا حتى قبيل آخره . وعرَّفنى بنفسه : أنه محمود محمد ناصف[1] ، المدرس بتجهيزية دار العلوم ، وبالمدرسة الإبراهيمية الثانوية . وأنه لأسباب أهمها أنه كان شديد التحرر ـ فى ذلك الوقت ـ غضبت عليه الوزارة غضبة (غير مُضَريَّة) ، واكتفت بأن جعلت له جدولين ، أحدهما فى تجهيزية دار العلوم ، والآخر فى الإبراهيمية الثانوية بجاردن سيتى .

وكنا نقطع الطريق (نحو ٢٥ دقيقة مشيًا) فى أحاديث أدبية ، فقد اتضح لى أنه شاعر ممتاز ، وإن لم يكن ذائع الصيت (خارج دائرة وزارة المعارف التى كانت تعرف فضله). وتبادلنا شعرنا على مدى الأيام التى جمعت بيننا فى شوارع القاهرة ، من المنيرة إلى جاردن سيتى .

---

(١) تخرج الأستاذ محمود محمد ناصف من دار العلوم سنة ١٩٠٦ ، وتنقل فى وظائف التدريس بالمدارس الثانوية . أحيل إلى المعاش سنة ١٩٣٧ ، وتوفى سنة ١٩٤٢ (١٨٧٩ – ١٩٤٢) « تقويم دار العلوم » لمحمد عبد الجواد ص ٣٨٣ – ٣٨٤ وكثيرا ما يخلط بينه وبين سمى له (الأستاذ محمود أحمد ناصف) الذى كان أستاذا فى دار العلوم العليا تخرج سنة ١٩٠٩ تقويم دارالعلوم ص ٥١٦ – ٥٩٧

ونَقلتُ عنه قصيدة له بعنوان « الناظران » يصف فيها وضعه فى المدرستين اللّتين كان يعمل فيهما فى وقت واحد ، تحت سلطة الناظر فى كل منهما. وقد وضعتها بين مختاراتى فى كتاب طبع منذ أكثر من نصف قرن[1]. وأعتقد أنى أُقدمها الان مُتْعة أدبية لقراء المجلة :

النَّـــاس دونى ، إذ لهم ناظر فَرْدٌ ، ولى من دونهم ناظرانْ
كلَاهُمَا إنسَـــانُ عين ، ولى عليهمـــا الرِّفق إذَا ينظران
ورأْسُ مالى أَن يدوما معًـــا ، فلَيْس يَجزِى عنهُمَـــا آخرَان
وإِنْ يمسَّ الدَّهْرُ لى جـــانبًا يَقُمْ بنصـــرى منهمـــا ناصران
وإِنْ طلَبْتُ الزَّيْدَ فى رتبتى يشـــهدْ بمـــا أُدْلى به عادلان

* * *

تَنَازعانى ، والهـــوى واحد ، فليس غيرى من لهُ عاشِـــقَان
رَضِيتُ ما يُرْضيهما ، إذ هما بمـــا أُلَاقى فيهما شـــاعران
لو كَلَّمانى نقْلَ رَضْوَى لمـــا فَعَلْتُ إِلَّا ما بهِ يأْمـــران
وإِنْ يَقُولَا : ادأَبْ بلَا فترة ، دأَبتُ حتى يتعبَ الدَّائِبَـــان
لَيلًا نهـــارًا لَسْتُ أُبْقى علَى نفسى ، وَلَا أَنْبَتُّ إذ يُجْهِدَان
فإِنْ لى عَظمًا حـــديدًا ، ولو يدُومُ فيه الضَّربُ لَا يُسْتلَان
وإِنَّ لى رجْلَيْنِ من حَـــافر حَذَاهُما البَيْطَـــارُ ، لَا تَحْفَيَان
فَلَوْ أَرَادَا أَنْ أَكونَ لَذِى كليهمـــا فى ذاتِ وقت لكانْ
بأَنَّ لى ذَاتَيْن ، ذاتٍ عَلَى وصْف لإِنْسِىٍّ ، وأُخْرَى لِجَانْ
بل إِنْ يقُولَا : ادأَبْ دَوَاما ، وفى غـــيرِ زمان ، لَا أَمَسُّ الزمان

* * *

(١) « بين اليراع والقرطاس فى الشرق والغرب » ص ٦٠ — ٦٢ مطبعة دار العلوم ١٩٣٣

كأَنَّنى غدَوْتُ من شِقْوَتِى مُوَكَّل بى دائِمًا حارِسَانْ
أَوْ أَنَّنى حَصَلتُ فى ربْقَة تَجَاذَبا أَطْرَافَها يَخْنُقَان
أَوْ أَنَّنى كالْقِرْد ، فى جِيده حَبلٌ لهَذَا ، ثم حبل لثَانْ
أَوْ أَنَّنى بَهْم بَلِيد ، غَدا يُلِحّ فى استحثاثه ضاربان
أَوْ أَنَّنى المشَّاءُ ، ما إِنْ يَنِى فى السَّعى حتى يَفْسُد الصَّاحبان

أَوْ أَنَّنى المُسْتَاءُ من حظِّه ، مُستَعْجلًا للْمَوْتِ قبلَ الأَوَان

- ٣ -

قد يُؤثَرُ الموْتُ على عِيشَة ضَنْكٍ ، وحملُ الذُّلِّ لَا يُسْتَهَانْ
لٰكنَّنى بالله مُسْتَعْصِم ، أَرْضَى بما يَقْضِى ، ولَو بالهَوَانْ
لَا يَسْأَمُ العَيشَ ، على ضَنْكِه إِلَّا لَئِيم كافِر أَوْ جَبَانْ
ومَنْ أَرَادَ الدَّهْرَ سَلْمًا لَهُ فَرَأْيُه فى العَيْشِ رَأْىُ الحسانْ
ما فَضْلُه ، إِنْ لم تَقُمْ بَيْنَهُ وبَيْنَ هَذَا الدَّهْر حَرْب عَوَانْ

* * *

رحم الله صاحب « الناظرين » .

مهدى علام
نائب رئيس المجمع